﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾﴾ [الرّحمن: 46 - 59]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قبلَها:

بعدَ ذِكرِ النِّعمِ الدُّنيويَّةِ والتَّذكيرِ بمآلِ المجرمينَ؛ شرعَ في بيانِ ما أعدَّ للطّائعين

هذه الآياتُ هي بداية المقطعِ الثّالثِ والأخيرِ من مقاطعِ هذه السّورةِ الجليلةِ، فقد شرعَ النَّظمُ الجليلُ في هذه الآياتِ الكريماتِ ابتداءً من قولِه تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾، في تعداد الآلاء الفائضةِ على المؤمنين الموحِّدين في الآخرة، بعد تعدادِ ما وصل إلى الثَّقلَينِ في الدُّنيا من الآلاءِ الدّينيَّةِ والدُّنيويَّةِ، فعَدَّدَ فيما بين هذه الآيات وبين خاتمة السّورةِ الكريمةِ، فُنونَ الكرامات والآلاء الجليلة الواصلةِ إليهم في الآخرة، كما سبق أن عدَّدَ الآلاءَ الواصلة إليهم في الدُّنيا؛ لكونها داعيةً لهم إلى السَّعي في تحصيل ما يؤدّي إلى نَيلِها من الإيمانِ والطّاعةِ؛ ذلك أنَّ ما فصَّلَ من فاتحةِ السّورةِ الكريمةِ إلى قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ من النِّعم الدّينيَّة والدُّنيويَّة والأنْفُسيَّةِ والآفاقية – آلاءٌ جليلةٌ واصلةٌ إليهم في الدُّنيا، وكذلك حكاياتُها من حيثُ إيجابُها للشُّكرِ والمثابرةُ على ما يؤدّي إلى استدامتها، وأمّا ما عدَّدَ فيما بين قوله تعالى: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ﴾،

وبين هذه الآية من الأحوال الهائلة التي ستقع في الآخرة، فليست هي من قبيل الآلاء الأولَى، وإنَّما الآلاءُ حكاياتُها الموجبةُ للانزجارِ عمّا يُؤدّي إلى الابتلاءِ بها من الكفرِ والمعاصي، كما أُشير إليه في تضاعيف تعدادِها[1].

ولمّا كان قد عَرَّفَ بما للمُجرم المُجْتَرِئ على العظائم من عقابٍ أليم ونَكالٍ شديدٍ، وقَدَّمَه لما اقتضاه مقامُ التَّكَبُّرِ من التَّرهيب، وجَعَلَهُ سبعًا إشارةً إلى أبواب النّارِ السَّبعةِ؛ عطف عليه بما للخائف الذي أدّاه خوفُه إلى الطّاعة، وجَعَله ثمانيةً على عدد أبواب الجنَّة الثَّمانية، وبدأ بذِكر الخوفِ من مقام اللّهِ تعالى؛ لأنَّه السَّبيلُ المؤدّي إلى نَيلِ دخولِ الجنّاتِ ذاتِ الأفنانِ، ثمَّ شرع في تفصيل وصف هذه الجنّاتِ التي هي للثَّقلَين، فوصفَها بكثرة الأفنانِ؛ لأنَّ البساتين لا يَكْمُلُ مدحُها إلّا بكثرةِ الأنواعِ والألوانِ والفروعِ المشتبكةِ والأغصانِ، وامتنَّ بما فيها من الأنهارِ الجاريةِ اللّازمةِ لنموِّها وازدهارها، وذِكْر ما فيها من الفاكهة والخيراتِ، ولمّا كان التَّفَكُّهُ لا يَكْمُلُ حُسنُه إلّا مع التَّنَعُّم من طيبِ الفُرش؛ ذَكَر حالَهم من الاتِّكاءِ على الأسِرَّة الوثيرةِ النّاعمةِ، وما عليها من ديباج، وعطفَ بذِكرِ قُرب جَنى الجنتين حتّى لا يُكلِّفَ المُتَّكئين في تناولِ الثِّمارِ إلى أي عناءٍ في صعود شجَرِه، ثمَّ ذكرَ نعمةَ معاشرةِ النِّساءِ بعد طيب الطَّعام والشَّراب والمقام؛ لأنَّ ما ذُكِر لا تتمُّ نعمتُه إلّا بمعاشرة الحِسانِ، وخصَّ بهنَّ أزواجَهُن، فلا يَقرُبُ لهنَّ أحدٌ غيرهم من إنسٍ ولا جِنٍّ؛ زيادةً في الامتنان بهذه اللَّذة الخالصةِ، وأعقبَ بوصفهنَّ بالياقوت والمرجانِ؛ زيادةً في غاية ما يكون من سكونِ النَّفس، وقوَّةِ القلب، وشِدَّةِ البدنِ، واعتدال الدَّمِ، وغير ذلك من خواصِّ ما شَبَّهَهُنَّ به[2].

وعقَّبَ على كلِّ نعمةٍ من النِّعم السّابقةِ بآيةِ الآلاءِ؛ لأنَّ في مجرَّد التَّرغيب في هذه النِّعم نعمةً جليلةً ومِنَّةً عظيمةً؛ إذ به يحصلُ الحرصُ على الأعمال الصّالحةِ، والفرارُ من الأعمال الطّالحةِ، فكيف بالوصول إلى هذه النِّعَم والتَّنَعُّم بها في جنّات النَّعيم بلا انقطاع ولا زوال؟[3].

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 183.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 180 - 185.
(3) الشّوكاني، فتح القدير: 5/ 169.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿مَقَامَ﴾: (قوم) أصلٌ يَدُلُّ على انتِصابٍ أو عَزْمٍ[1]، والمعنى المحوريُّ: انتصابُ الشَّيءِ إلى أعلى ثابتًا[2]، وأمّا المَقامُ والمُقامُ؛ فقد يكون كلٌّ واحدٍ منهما بمعنى الإقامة، وقد يكون بمعنى موضع القيام[3]، والمَقامُ: أصلُه محلُّ القيامِ، ومصدرٌ ميميٌّ للقيام، وعلى الوجهين يُستعمَل مجازًا في الحالةِ والتَّلبُّسِ، كقولك لمن تستجيره: هذا مَقامُ العائذِ بك، ويُطلَق على الشَّأنِ والعَظَمةِ[4]، وفي ﴿مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾ قولان، أحَدُهما: هو مقامٌ بين يَدَيِ العرضِ والحسابِ. الثّاني: هو قيامُ اللّه تعالى بإحصاءِ ما اكتَسَبَ الإنسانُ من خيرٍ وشرٍّ[5].

2) ﴿أَفْنَانِ﴾: الأفانينُ: أجناسُ الشَّيءِ وطُرُقُه، ومنه الفَنَنُ، وهو الغُصْنُ، وجمعُه أفنانٌ، ويقال: شجرة فنواءُ[6]، والأفانينُ: الأساليبُ، وهي أجناسُ الكلامِ وطُرقُه، ورجل مُتَفَنِّنٌ، أي: ذو فنونٍ، وافتَنَّ الرَّجلُ في حديثه وفي خطبته (بوزن اشْتَقَّ): جاءَ بالأفانين[7]، والمعنى المحوريُّ: امتدادٌ تشَعُّبيٌّ أو متزايد مع دقَّةٍ أو رِقَّةٍ، والفَنَنُ: الغُصن الغضُّ الوَرِقُ، وجمعه أفْنانٌ، وقوله: ﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ﴾، أي: ذواتا غصون، وقيل: ذواتا ألوانٍ مختلفةٍ[8].

3) ﴿عَيْنَانِ﴾: (عين) أصلٌ واحدٌ صحيحٌ يدلُّ على عضوٍ به يُبْصَرُ، ويُنْظَرُ، ومن البابِ: العينُ الجاريةُ النّابعَةُ من عُيونِ الماءِ، وإنَّما سُمّيَتْ عَيْنًا تَشْبيهًا لها بالعينِ النّاظرةِ لصفائها ومائها[9]، والمعنى المحوريُّ: دائرةٌ يَنفذُ منها لطيفٌ لامعٌ دائمُ الجريان عن مختزَنٍ كثيرٍ[10]، ويقالُ للمُراعي للشَّيء: عَيْنٌ، وفلانٌ بعَيْني، أي: أحفَظُه وأراعيه، كقولك: هو بمَرْأًى منّي ومسمَعٍ، قال تعالى: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطّور: 48]، وقال: ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (قوم).
(2) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (قوم).
(3) الرّازيّ اللّغويّ، مختار الصّحاح: (قوم).
(4) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 265.
(5) الماورديّ، النّكت والعيون: 5/ 437.
(6) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (فن).
(7) الرّازيّ، مختار الصّحاح: (فنن).
(8) الرّاغب، مفردات القرآن: (فنن)، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (فنن، فنفن).
(9) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والخليل بن أحمد، كتاب العين، والأزهريّ، تهذيب اللّغة: (عين).
(10) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (عين).

بِأَعْيُنِنَا﴾ [هود: 37]، أي: بحيثُ نَرى، ونحفظ، ويُستعار لفظ العَيْنِ لمعانٍ، هي موجودةٌ في الجارحة بنظرات مختلفة، واستُعير للثَّقب في المَزادة تشبيهًا بها في الهيئة، وفي سَيلان الماء منها، فاشتقَّ منها: سقاء عَيِّنٌ ومُتَعَيِّنٌ: إذا سال منها الماءُ، وقيل للمتجسِّس: عَيْنٌ؛ تشبيهًا بها في نظرها، وقيل للذَّهب: عَيْنٌ؛ تشبيهًا بها في كونها أفضلَ الجواهرِ كما أنَّ هذه الجارحةَ أفضلُ الجوارحِ، ومنه قيل: أعْيانُ القومِ لأفاضِلِهم، ومِن عَيْنِ الماء اشتُقَّ: ماءٌ مَعينٌ، أي: ظاهر للعُيون، وعَيِّنٌ، أي: سائل، قال تعالى: ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾﴾ [الإنسان: 18]، وقال: ﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا﴾ [القمر: 12]، وهو المرادُ في قولِه تعالى: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾، وقولِه: ﴿عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾[1].

4) ﴿تَجْرِيَانِ﴾: (جري) أصلٌ واحدٌ، وهو انسياحُ الشَّيءِ، يقال: جَرى الماءُ يجري جِرْيَةً وجَرْيًا وجَرَيانًا[2]، والجاريَة: السَّفينةُ، وكذلك الشَّمسُ[3]، والمعنى المحوريُّ: انتقالٌ بحركةٍ خفيفةٍ سريعةٍ مسترسلةٍ متَّصلةٍ، كسيلانِ الماء والدَّم، وكذا جَرْيُ الفرس، والذي في القرآن من التَّركيب كلُّه مِنَ الجَرْي الموصوف، مسندًا إلى الأنهارِ وإلى عيون الماء، وإلى السُّفن، والرّياح، والشَّمس والقمر والنُّجوم، وسياقاتُها واضِحةٌ[4]، والمرادُ بـ﴿تَجْرِيَانِ﴾ تَسيلان أبدًا، فلا تنقطعانِ، إمّا بالماءِ اللّازم لنَماء الجَنّاتِ، وإمّا بكلِّ خيرٍ وبركةٍ، وإمّا بالكَرامةِ والزّيادةِ لأهل الجنَّةِ[5].

5) ﴿زَوْجَانِ﴾: (زوج) أصلٌ يدلُّ على مقارنة شيءٍ لشيءٍ، ومن ذلك الزَّوجُ: زَوْجُ المرأةِ، والمرأةُ زَوْجُ بعلها، وهو الاستعمال الأفصح، قال الله جلَّ ثناؤه: ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة: 35][6]، والمعنى المحوريُّ: تداخُلٌ بين شيءٍ وآخرَ، حتّى يَشْتَبِكا، ويَختَلِطا، ويرتبطا معًا[7]، ويقال لكلِّ واحد من القرينَيْنِ مِنَ الذَّكَر والأنثى في الحيواناتِ المُتَزاوِجَةِ: زَوْجٌ، ولكلِّ قَرينَين فيها وفي غيرها: زَوْجٌ، كالخُفِّ والنَّعل، ولكلِّ ما يقترن بآخرَ مماثلًا له

(1) الرّاغب، مفردات القرآن: (عين).
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (جري).
(3) ابن منظور، لسان العرب: (جري).
(4) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (جرى).
(5) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 25/ 259، والسّمعانيّ، تفسير القرآن: 5/ 334.
(6) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (زوج).
(7) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (زوج).

أو مضادًّا: زَوجٌ[1]، فالزَّوجُ: الشَّكلُ يكون له نظيرٌ، كالأصنافِ والألوانِ، أو يكون له نقيضٌ كالرَّطْبِ واليابسِ، والذَّكرِ والأنثى، واللَّيلِ والنَّهارِ، والحُلْوِ والمُرِّ[2]، والمرادُ بـ﴿زَوْجَانِ﴾: صِنفانِ ونوعانِ[3].

6) ﴿مُتَّكِئِينَ﴾: (وكأ) أُصَيْلٌ يدلُّ على شدِّ شيءٍ وشِدَّةٍ، ومنهُ الوِكاءُ: الذي يُشَدُّ به، ومِنَ البابِ: تَوَكَّأْتُ على كذا، أي: اتَّكَأْتُ؛ لأنَّهُ يتشدَّدُ به، ويتقوَّى به، وأوكأْتُ فلانًا إيكاءً: نصبتُ لهُ مُتَّكَأً، ووكأ: تَوَكَّأ على الشَّيءِ[4]، والمُتَّكَأُ: المكانُ الذي يُتَّكَأُ عليه، والمِخَدَّةُ المُتَّكَأُ عليها، ومنهُ قولُه تعالى: ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا﴾ [يوسف: 31]، وقال تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ﴾ [الطّور: 20]، و﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾﴾ [يس: 56][5]، والتُّكَأةُ بوزنِ (فُعَلَةٍ)، وأصلُها: وُكَأَةٌ، فقُلِبَتِ الواو تاءً، كما قالوا: تُراثٌ، وأصلُهُ: وُراثٌ، واتَّكَأْتُ اتِّكاءً: أصلُهُ: اوتَكَيْت فأُدْغِمَت الواو في التّاء، وشُدِّدَتْ، وأصلُ الحَرفِ: وكَأ يوكِّئُ تَوْكِئَةً[6]، والاتِّكاءُ: جِلسةُ الرّاحَةِ والتَّرَفِ، والمرادُ في قولِه تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ﴾ جِلسةُ المتنعِّم، جلوسَ تَمَكُّنٍ واستقرارٍ وراحةٍ، كجلوس المُلوك على الأسرَّة[7].

7) ﴿بَطَآئِنُهَا﴾: (بطن) أصلٌ واحدٌ لا يكاد يُخْلَفُ، وهو إنسيُّ الشَّيءِ والمُقْبِل منه، فالبطنُ: خلافُ الظَّهرِ[8]، والمعنى المحوريُّ: التَّعبيرُ عن الجوفِ الدّاخلي للشَّيءِ؛ إذ يَخْفَى فيه ما يدخل إليه، كما في قولِ اللّهِ تعالى على لسان امرأة عمران: ﴿إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا﴾ [آل عمران: 35]، و﴿يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُۥ﴾ [النّحل: 69][9]، والبَطائِنُ: جمع بطانةٍ بكسر الباء، وهي مشتقةٌ من البطنِ، ضِدُّ الظّهرِ من كلّ شيءٍ، وهي الثَّوبُ الذي يُجعَل على الفراشِ، والظِّهارةُ: الثَّوبُ الذي يجعل فوق البِطانةِ ليَظهَرَ لرؤية الدّاخل للبيت، فتكونَ الظّهارةُ أحسنَ من البِطانة في الفراش الواحدِ، فالمعنى هنا: أنَّ بطائنَ فُرُشِ الجَنَّة مِن إستبرقٍ، فلا تَسألْ عن ظَهائِرِها، فإنَّها أجودُ من ذلك[10].

(1) الرّاغب، مفردات القرآن: (زوج).
(2) الفيوميّ، المصباح المنير: (زوج).
(3) ابن الجورزيّ، زاد المسير: 4/ 213.
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (وكا).
(5) الرّاغب، مفردات القرآن: (تكأ).
(6) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (تكأ).
(7) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 268، والسّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 831.
(8) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (بطن).
(9) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (بطن).
(10) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 269.

8) ﴿إِسْتَبْرَقٍ﴾: (برق) أصلانِ تتفرَّعُ منهما فروع، أحدهما: لَمَعانُ الشَّيءِ. والآخرُ اجتماعُ السّواد والبياضِ في الشَّيء، وما بعد ذلك فكُلُّه مَجازٌ ومحمولٌ على هذَين الأصلين[1]، والمعنى المحوريُّ: حِدَّةٌ تَبرُزُ إلى الظّاهر بقوَّةٍ أو اندفاع من عمقِ ما يكتنفها[2]، والإستبرقُ: صِنفٌ رفيعٌ من الدّيباجِ الغليظِ، والدّيباجُ: نسيجٌ غليظٌ من حريرٍ، والإستبرقُ يُنسَج بخيوطِ الذَّهب، قالوا: وهو مُعَرَّبٌ عن الفارسيَّةِ، عن كلمة (ستبرك) بكافٍ في آخره علامة تصغير (ستبر) بمعنى ثخين، فأبدلوا الكاف قافًا خشية اشتباه الكافِ بكاف الخطاب[3].

9) ﴿وَجَنَى﴾: (جني) أصلٌ واحدٌ، وهو أخذُ الثَّمرةِ من شَجَرِها، ثمَّ يُحْمَلُ على ذلك، تقول: جَنَيْتُ الثَّمرةُ أجنيها، واجتَنَيتها، وثمرٌ جَنِيٌّ، أي: أُخِذَ لِوَقْتِه، كما في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ۝٢٥﴾ [مريم: 25]، ومن المحمولُ عليه: جَنَيتُ الجنايةَ أجنيها[4]، والمعنى المحوريُّ: تحصيلُ (أو أخذُ) ثَمَرِ الشَّجرِ وما يشبِهُه من الأشياء التي تُكِنُّه أو تُقِرُّه، كالكَمْأة والقُطْنِ والرُّطَب والعسل، خارجةً من الأرضِ والأكمام وخلايا النَّحلِ أو أجوافها[5]، والمُرادُ بـ﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ هو الثَّمر نفسه، أي: ما يُجْتَنَى من أشجارِ الجنَّتَين[6].

10) ﴿دَانٍ﴾: (دنا) أصلٌ واحدٌ يقاس بعضُه على بعض، وهو المقارَبةُ، ومن ذلك الدَّنيُّ، وهو القريبُ، من دَنا يَدنو، وسُمّيت الدُّنيا لدُنوِّها، ودانَيْتُ بين الأمرين: قارَبْتُ بينهما[7]، ودَنا منه، ودَنا إليه يَدنو دُنوًّا: قَرُبَ، فهو دانٍ[8]، والدُّنوُّ: القُربُ بالذّات، أو بالحُكم، ويُستعمَل في المكان والزَّمان والمَنزِلة، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ﴾ [الأنعام: 99]، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨﴾ [النّجم: 8]، هذا بالحُكم، ويعبَّر بالأدنى تارةً عن الأصغر، فيقابَلُ بالأكبر نحو: ﴿وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ﴾ [المجادلة: 7]، وتارة عن

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (برق).
(2) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (برق).
(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 373.
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (جني).
(5) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (جني).
(6) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 185.
(7) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (دنى).
(8) ابن منظور، لسان العرب: (دنا).

الأرْذَل، فيقابَل بالخير، نحو: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾ [البقرة: 61][1]، والمرادُ بـ﴿دَانٍ﴾ قَريبٌ لا يُعَنّي الجانيَ[2].

11) ﴿قَٰصِرَٰتُ﴾: (قصر) أصلانِ صحيحانِ، أحَدُهما: يدلُّ على ألّا يبلُغَ الشَّيءُ مداهُ ونهايتَهُ، والآخرُ: على الحبس، والأصلانِ متقاربانِ، فالأوَّلُ القِصَرُ: خِلافُ الطّولِ، يقال: هو قصيرٌ بَيِّنُ القِصَرِ، ويُقالُ: قَصَّرْتُ الثَّوبَ والحبلَ تَقْصيرًا، ويُقالُ: قَصَّرْتُ في الأمْرِ تَقْصيرًا؛ إذا تَوانَيْتُ، والأصلُ الآخرُ: القَصْرُ: الحَبسُ، يقالُ: قصَرتُهُ؛ إذا حبستُهُ، وهو مقصورٌ، أي: محبوسٌ، قالَ اللّه تَعالَى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ﴾، وامرأةٌ قاصرَةُ الطَّرفِ: لا تَمُدُّهُ إلَى غَيْرِ بَعْلِها، كَأنَّها تَحبِسُ طَرْفَها حَبْسًا[3]، والمعنى المحوريُّ: حَبْسٌ عن الانتشارِ طولًا أو عرضًا[4]، قال اللّه تعالى: ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾، مَعْناه: أنَّهُنَّ يَقْصُرْنَ أبصارَهنَّ على أزواجِهنَّ، فلا يَنظرْنَ إلى غيرِهم، رِضًا بأزواجِهنَّ، وقيل: معناه لا يمُدُدْنَ أعيُنَهُنَّ إلَى ما لا يجوزُ[5]، وقيلَ، أي: فاتراتُ الطَّرفِ، وهي صفةُ مَدحٍ في الأعْيُنِ[6].

12) ﴿ٱلطَّرْفِ﴾: (طرف) أصلانِ، الأوَّلُ: يدلُّ على حدِّ الشَّيءِ وحَرْفِه، والثّاني: يدلُّ على حركةٍ في بعض الأعضاءِ. فالأوَّلُ: طَرَفُ الشَّيءِ والثَّوبِ والحائطِ، وقولُهم: عَيْنٌ مَطْروفَةٌ، من هَذا؛ وذلك أنْ يُصيبَها طَرَفُ شَيءٍ - ثَوْبٍ أوْ غَيْرِه - فتَغْرَوْرِقَ دَمْعًا، وأمّا الأصْلُ الآخَرُ فالطَّرْفُ، وهوَ تَحْريكُ الجُفونِ في النَّظَرِ، هَذا هوَ الأصْلُ، ثُمَّ يُسَمّونَ العَيْنَ بالطَّرْفَ مَجازًا[7]، والطَّرْفُ: تَحْريكُ الجَفْنِ، وعُبِّرَ بهِ عن النَّظَرِ؛ إذْ كانَ تَحْريكُ الجَفْنِ لازِمُه النَّظَرُ، وقوله: ﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾، عِبارَةٌ عن إغضائِهنَّ لِعِفَّتِهنَّ[8].

13) ﴿يَطْمِثْهُنَّ﴾: (طمث) أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على مسِّ الشَّيءِ، يقال: ما طَمَثَ ذا المَرْتَعَ قبلنا أحدٌ، وطَمَثَ الرَّجلُ المرأةَ: مَسَّها بجِماعٍ[9]، وطَمِثَتِ المرأةُ تطمَث طَمْثًا، وطمَثَت

(1) الرّاغب، مفردات القرآن: (دنا).
(2) أبو عُبيدة، مجاز القرآن: 2/ 245.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (قصر).
(4) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (قصر).
(5) السّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ: (قصر).
(6) السّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ: (طرف).
(7) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (طرف).
(8) الرّاغب، مفردات القرآن: (طرف).
(9) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (طمث).

تطمُث، بالضَّمِّ، طَمْثًا: حاضتْ، وطمِثت؛ إذا دَميَتْ بالافتضاضِ[1]، والطَّمثُ: دَمُ الحيضِ والافتِضاضِ، والطّامِثُ: الحائضُ، والمعنى المحوريُّ: ثِقَلُ الشَّيءِ بحدوث ما يُذْهِب أو يَعوق خِفَّتَه أو رِقَّتَه، كعَقل البَعير، والجاريةِ تَبلغُ بالحيضِ وبالافتضاضِ طَوْرَ الأنثى الكامِلَة؛ إذْ بالحيض يمكن أن تَحْمِل، وهي تَتَوقَّر حينَئذٍ؛ إذ يكتمل شعورها بالأنوثة، والافتِضاضُ يُشعرُها بذلك أيضًا، كما أنَّ الأمْرَين يَنْقُصان خِفَّتَها[2]، وفي معنى ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ﴾ قولان، أحدهما: لم يَفتَضِضهُنَّ، والطَّمثُ: النِّكاحُ بالتَّدْميَة. والثّاني: لم يَمسَسْهُنَّ؛ وذلك لأنَّهنَّ خُلقنَ من الجنَّة[3].

14) ﴿ٱلْيَاقُوتُ﴾: الياقوتُ فارسيٌّ مُعَرَّبٌ، الواحدُ ياقوتَةٌ، والجمع اليَواقيتُ، وسَكَتَ عن ذِكره أكثرُ أهلِ اللُّغَةِ، وهوَ أجناسٌ، فالأحمر منه أقربُ إلى الحَرِّ من الأزرق، والأبيضُ أبردُ من الأزْرَق، وأجْود الياقوت الأحمرُ الرُّمّانّي[4]، وهو حجرٌ من الأحجار الكريمة، يُستعمَل للزّينة[5]، والمرادُ بقوله: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ﴾ تشبيهُهُنَّ بهذا الحجر الكريمِ في حُمْرَةِ الوَجنَةِ وبَياضِ البَشَرَةِ وصَفائِهما[6].

15) ﴿وَٱلْمَرْجَانُ﴾: مشتقٌّ إمّا من (مرج)، وعليه يكونُ فيه معنى الاضطرابِ والحركةِ والاختلاط[7]، وإمّا من (مرجَنَ)، والمَرجانُ حيوانٌ بحريٌّ ذو أصابعَ دقيقةٍ يَنشَأ ليِّنًا، ثم يتحجَّرُ، ويتلوَّن بلونِ الحُمرة، ويتصلَّبُ كلَّما طالَ مُكْثُه في البحر، فيُستخرج منه كالعروقِ تُتَّخَذُ منها حِلية، والمرجانُ لا يخرج من ملتقى البحرين المِلْح والعَذْب، بل من البحر المِلْح[8]، والمرادُ به إمّا صغار اللُّؤلؤ، وهي أشدُّ بَياضًا، ولذَلِك خَصَّ الياقوتَ والمرجانَ، فشَبَّه الحورَ العين بهما[9]، فإنِ اعتُبِر في اللُّؤلؤ معنى التَّلألُؤ واللَّمَعان، وفي

(1) ابن منظور، لسان العرب: (طمث).
(2) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (طمث).
(3) ابن الجوزيّ، زاد المسير: 4/ 214.
(4) الجوهريّ، الصّحاح، وابن منظور، لسان العرب، والفيروزابادي، بصائر ذوي التّمييز، والزّبيديّ، تاج العروس: (يقت).
(5) مجمع اللّغة العربيّة، المعجم الوسيط: (يقت).
(6) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 5/ 174.
(7) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والأزهريّ، تهذيب اللّغة: (مرج).
(8) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 250.
(9) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن منظور، لسان العرب: (مرجن).

المرجان معنى المَرج والاختلاط، فالأوْفَق لذلك أنَّه الخَرَز الأحمر، وهو المشهور المتعارَف[1].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

مظاهرُ النَّعيمِ المقيمِ لأهلِ الإحسانِ مِن المؤمنينَ الخائفين مِن مَقام الجليلِ

في هذه الآياتِ الكريمات بيَّنَ النَّظمُ الجليلُ ثمرةَ الخوفِ من اللّه، فمن عرفَ أنَّ هناك حسابًا وجزاءً يوم القيامة، وأنَّ هناك نارًا أُعدَّت للكافرين وللضّالّين، وخاف حسابَ اللّهِ وعقابَه، نَجا من البلاء المبينِ، بإيمانه باللّه، وكان له الجزاءُ الحَسَنُ عند ربِّه، فأدخَلَه - مِن واسعِ فضلِه وكريمِ إحسانِه - جَنَّتَين اثنتين، يَتبَوَّأ منهما حيثُ يشاء، وسواءٌ أكانت التَّثنيَةُ إشارةً إلى عددٍ حقيقيٍّ، أو كنايةً عن الكثرة والاتِّساعِ، فقد استفاضتِ الآياتُ في بيانِ ما فيهما من الثِّمارِ الطَّيّبةِ والنَّعيمِ الوافر، التي تقتضي التَّصديقَ، وتستدعي واجبَ الحمدِ والشُّكر للّه ربِّ العالَمين، فهاتانِ الجنَّتان ذواتا أغصانٍ مورِقةٍ، وهذا يعني أنَّ لأشجارِهما ظِلًّا ممدودًا، وكذلك فمن صِفات هاتَين الجنَّتين أنَّ فيهما عينَيْنِ تجريانِ بالماءِ العَذْبِ الرَّقراقِ، وهذا الماءُ السَّلسَبيل المُتدفِّقُ من العُيون الجارية، هو نفسُه نِعمةٌ، إلى جانب نعمة الجنَّة، وإلى جانبِ ظِلِّها الممدود، فمَن يُكذِّب بهذه النِّعم المتظاهرة، ويجحد فضلَ اللّهِ وإحسانَه بها؟ وممّا في هاتين الجنَّتَين كذلك: هذا الثَّمَرُ الطَّيّبُ الجَنيُّ الذي يُشبه بعضُه بعضًا في حُسنِه وطيبِه، وإنِ اختلفت طعومُه، وتعدَّدَت مذاقاتُه.

ثمَّ بيَّنَتِ الآياتُ ما في هاتَين الجنَّتَين من فُرُشٍ حَشْوُها مِن حريرٍ، فكيفَ بظاهِرِها؟ وهي مُهيَّأةٌ ليتَّكِئَ عليها أهلُ الجنَّة، اتِّكاءَ استرواحٍ، واسترخاءٍ، واطمئنانٍ، فإذا أراد أحدُهم أن ينال من ثمر الجنَّتَين شيئًا، لم يُضطَرَّ إلى أن يتحوَّل عن هذا الوضعِ المُريح؛ لأنَّ

(1) الآلوسيّ، روح البيان: 14/ 105.

الثَّمَرَ النّاضِجَ الشّهيَّ دانٍ قريبٍ بحيثُ لا يتكلَّف له المُتَّكِئُ شيئًا، بل هو حاضرٌ بين يديه، يتخيَّرُ منه ما يشاء، متَّكِئًا، أو مضطجعًا، أو نائمًا.

ثمَّ ذكرت الآياتُ لونًا آخرَ هو ذِروةُ ألوانِ النَّعيم، فإذا نالَ أهلُ الجَنَّتَينَ حَظَّهم من نِعْمَتي الطَّعام والشَّراب في هذا الظِّلِّ الظَّليلِ؛ وجدوا في هاتَين الجَنَّتَين الحورَ العينَ، اللَّواتي قَصَرْنَ أعينَهُنَّ عن النَّظر إلى غير ما أحلَّ اللّهُ لهُنَّ، تُقًى وحياءً وعِفَّةً، وكان من تمام التَّنعُّم بهؤلاء الحور العين أنَّهُنَّ لم يَغْشَ حِماهُنَّ أحدٌ من الإنسِ أو الجنِّ، قبلَ أزواجِهنَّ الذين زُفّوا إليهنَّ في الجنَّة، وبعد أن وصفتِ الآياتُ هؤلاء الحور بالعِفَّة والحياء، زادت في حُسْنِهنَّ، فشَبَّهَتْهُنَّ في النَّقاء والصَّفاء بالياقوت والمَرجان، وهما حَجرانِ كريمانِ، صافيان صفاءَ البلَّورِ، ولكنَّهما مع هذا الصَّفاءِ مُشْرَبانِ بحُمْرةٍ، وهو تشبيهٌ لما يَجْري في بشرتهنَّ من دَمِ الشَّباب، الذي تُشْرِقُ به وجوهُهُنَّ، ويُلاحظ أنَّ الجنَّتَين اللَّتَين وعدَهُما اللّهُ الذين يخافون مقامَ ربِّهم، قد عُرِضتا في هذا العرض المُفَصَّل؛ ليَحُثَّ الثَّقلين على الوقوفِ بين يديها، وإنعامِ النَّظر فيها، ثمَّ تحديد موقفهم منها، أيشكرون، أم يكفرون؟[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

معنى الواوِ ودلالتُها في ﴿وَلِمَنْ خَافَ﴾:

بعد بيانِ حالِ المجرمينَ؛ انتقل البيانُ إلى وصف جزاءِ المتَّقينَ

جاءَت الواوُ في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾ استِئْنافيَّةً[2]، إذ انتقل البيانُ القرآنيُّ من وصف جزاء المجرمين إلى ثواب المتَّقين مفصَّلًا، فعطفت هذه الجملةَ على قولِه: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ﴾ إلى آخِرِها، وهو أظهرُ؛ لأنَّ قولَه في آخرها: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ يُفيدُ مَعْنى أنَّهم فيها[3].

(1) الخطيب، التّفسير القرآنيّ للقرآن: 14/ 190 - 694.
(2) الخطيب ومصلوح والعلوش، التّفصيل في إعراب آيات التّنزيل: 27/ 210.
(3) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 264.

الغَرضُ من تقديمِ الخَبرِ:

مـدارُ العنايةِ الإلهيَّةِ لمنْ خاف مقامَ ربِّه

قدَّم النَّظمُ الجليلُ الخبرَ، وهو قولُ اللّهِ تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾ على المبتدأِ ﴿جَنَّتَانِ﴾، وكان مقتضى الظّاهرِ أن يكونَ الكلامُ: (جنَّتانِ لمن خاف مقامَ ربِّه)، وإنَّما جاءَ التَّقديم؛ لبيانِ الاهتمامِ بصاحبِ هذا الجزاءِ العظيم، وهو من خافَ مقامَ ربِّه، فهو مدارُ العنايةِ في الآياتِ كلِّها؛ لذا جاءَ تقديمُه دالًّا على مقدارِ الرِّعايةِ والاهتمامِ به، قبلَ ذِكر صنوفِ النَّعيم، فيكونُ التَّقديمُ من بابِ حُسن الاستفتاحِ والبشارةِ له خاصَّةً.

الغَرضُ مِنَ التَّعبيرِ بالاسمِ الموصولِ:

شمـولُ الجـزاءِ لعمومِ العقلاءِ من المكلَّفينَ

عبَّرَ النَّظمُ الجليلُ في قولِه تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾ بالاسمِ الموصولِ (مَنْ)، وهو اسمٌ مبهمٌ يقع على المُذَكَّر والمُؤَنَّث، والمُفرد والمُثنّى والجمع، من الإنس والجنِّ جميعًا، فأفاد العمومَ، أي: لكلِّ منِ اتَّصفَ بهذه الصِّفةِ – وهي الخوفُ من اللّهِ تعالى – جنَّتانِ، وهو كذلك اسمٌ يقعُ على العقلاء في أغلب السّياقات، فهو أنسبُ لمقام الجزاء، الذي هو خاصٌّ بجميع المكلَّفين، ولا شبهةَ في أنَّ مَنْ خافَ مقامَ ربِّه هو جِنْسُ الخائفين، لا خائفٌ مُعَيَّن، فهو من صيغ العموم البَدَليِّ، بمنزلة قولك: وللخائفِ مقامَ ربِّه تعالى جَنَّتان[1].

مَعنَى اللّامِ ودلالتُها في ﴿وَلِمَنْ﴾:

اختـصـاصُ من خـافَ مقـامَ ربِّه بامتلاكِ جنَّتَين

اللّامُ في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾ لامُ المِلْك، أي: فلَهُ جَنَّتان على حِدَتِه، لا يشارُكه فيهما غيرُه[2]، وفيها إشارةٌ إلى التَّخصيصِ بهذا المِلْكِ الشَّريف، وإشعارٌ بأنَّ الجنَّتَينِ له وحدَه، دونَ منازعٍ له، وهو أقربُ للصَّفاءِ وراحةِ البالِ.

(1) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 264.
(2) الواحديّ، التّفسير البسيط: 21/ 181.

دلالةُ التَّعبيرِ بالخوفِ دونَ الخشية في ﴿وَلِمَنْ خَافَ﴾:

إذا كان للخائفِ جنَّتانِ، فما الظَّنُّ بما للخاشي وهو أعلى وأرقى

آثَرَ النَّظمُ الجليلُ التَّعبيرَ بمفردَةِ الخوفِ دونَ الخشيةِ؛ لقُربِ الوعيدِ الشَّديدِ للمجرمينَ، وتفصيلِ عذابهم في الآيات السّابقةِ، فأحْدَثَ ذلك في قلوب المؤمنينَ من الثَّقلَينِ نوعًا من توَقُّعِ المكروه، ولأنَّ الخوفَ خشيةٌ سببُها ذُلُّ الخاشي، وهي خوفٌ سببُه عَظَمةُ المَخشيِّ، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: 28]، وقال تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر: 21]، وقال تعالى في الخوف: ﴿وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا﴾ [طه: 21]؛ لأنَّ الخوفَ توَقُّعُ مكروهٍ، وقال: ﴿فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾﴾ [القصص: 33]، فلذلك قال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾، وإذا كان هذا للخائفِ؛ فما ظنُّك بالخاشي؟[1].

دَلالَةُ التَّعبيرِ بالماضي ﴿خَافَ﴾:

تحقُّقُ الخوفِ في قلوبِ المحسنينَ دافعٌ لهم إلى الطّاعاتِ

عبَّرَ النَّظمُ بصيغةِ المُضيِّ في قولِه: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾؛ لتَوكيدِ وُقوعِ الخوفِ في قلوبِ المؤمنينَ من الثَّقلينِ وتَحقُّقِه، فليس هو خوفًا مظنونًا عابرًا، بل هو خوفٌ متحقَّقٌ قد دفعهم لترك المُنكراتِ والمبادرةِ إلى الطّاعاتِ.

علَّةُ التَّعبيرِ بـ﴿خَافَ﴾ مسندًا للمُفرد دون الجمع:

قلَّةُ الخائفينَ من مقامِ الرَّبِّ ﷻ

عدلَ النَّظمُ عن التَّعبيرِ بالفعل مسندًا إلى ضمير الجمع (خافوا)، إلى الفعلِ مسندًا إلى ضميرِ المفردِ ﴿خَافَ﴾؛ إشارةً إلى قلَّةِ الخائفينَ من الثَّقَلَين، وفيه جانبٌ لفظيٌّ، وهو أنَّهُ وحَّد الضَّمير؛ مراعاةً للفظ (مَنْ) المفرد[2]، فهو في معنى قولِ اللّهِ تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ [سبأ: 13].

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 369 - 370.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 180.

دلالةُ التَّعبير بصيغةِ ﴿مَقَامَ﴾ بين المصدريَّةِ واسم المكان:

المصدريَّة قيامُ الـرَّبِّ على الخلائقِ، وقيامُ الـخـائـفِ على الحقوقِ

في صيغةِ ﴿مَقَامَ﴾ في قولِ اللهِ تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ احتمالان[1]، **الاحتمالُ الأوَّلُ**: أنَّه مصدرٌ ميميٌّ بمعنى القيام، وهو يحتملُ معنَيَيْنِ، الأوَّلُ منهما: إضافةُ القيامِ إلى الله، فالمرادُ: قيامُ اللهِ ﷻ على الخلائق، وكونُه مُهيمنًا عليهم، مراقبًا لهم، حافظًا لأحْوالهم، والمعنى: إشرافُه تعالى على الخائفينَ واطِّلاعه عليهم، فالقيامُ هنا مثله في قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: 33]. والثّاني: أن يكونَ مصدرًا ميميًّا مضافًا لمفعولِه، وهو الخائفُ نفسُه؛ إذْ يجوزُ أن يكونَ المقامُ للعبدِ، ثمَّ يضافُ إلى الله، وهو كالأجَل في قوله: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ﴾ [الأعراف: 34]، وقولِه في موضع آخر: ﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ﴾ [نوح: 4]، والمعنى: قيامُ الخائفِ بحقوق الله، فلا يُضَيِّعُها، كما في قولِ الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٤١﴾ [النّازعات: 40 - 41].

وأمّا **الاحتمالُ الثّاني** في صيغةِ ﴿مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾: فهو أنْ تكونَ اسم مكان، والمُراد به: مقامُ وقوفِ الخائفِ بين يدي اللهِ تعالى في يوم القيامة للحساب، كما في قولِ اللهِ تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾ [المطففين: 6]، ويحتمل أنْ يكونَ المقامُ هو المقامَ الذي يقوم فيه العبدُ بين يدي ربِّه، وهو مقامُ عبادته، كما يقال: هذا مَعبدُ الله، وهذا مَعبدُ الباري، أي: المقام الذي يَعْبُد اللهَ العبدُ فيه[2].

الغرض من الإضافةِ في ﴿مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾:

اخـتـصـاصُ المـقـامِ لـلـهِ يـومَ العَرضِ عليه، أو الإضافةُ للتَّهويلِ

جاءت إضافة المقام في قولِ اللهِ تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ

(1) الواحديّ، التّفسير البسيط: 21/ 181، والزّمخشريّ، الكشّاف: 4/ 451، والقرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 17/ 176.

(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 370.

رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ للرَّبِّ، لاختصاص المُلك يومَئذٍ به تعالى بحسب نفس الأمر؛ لأنَّه تعالى مُنَزَّهٌ عن مِثْله، فالإضافة اختصاصيَّة، وقيل: بل الإضافة للتَّفخيم والتَّهويل، ففي هذه الإضافة تنبيهٌ على صعوبة الموقف، وتحريضٌ على الخوف الذي هو أسرعُ المطايا إلى الله ﷻ[1]، وقيلَ: ﴿مَقَامَ﴾ مُقحَمٌ، والأصلُ: خافَ ربَّهُ، والزّيادةُ للتَّعظيم، وليس المراد أنَّه زائدٌ حقيقةً، بل زيادتُه بالنَّظر إلى أصلِ المعنى المراد، وأنَّه يَصِحُّ بدونه، لأنَّه غير زائدٍ، إذِ الكلامُ كنايةٌ عن خوفِ الرَّبِّ، وإثباتُ خوفِه له بطريق بُرهانيٍّ بليغٍ؛ لأنَّ مَن حصل له الخوفُ من مكانِ أحدٍ يَهابُه، وإن لم يكن فيه، فخوفُه منه بالطَّريق الأولى، وهذا كما يقول المُتَرَسِّلون: المَقامُ العالي، والمَجلسُ السّامي[2].

دلالةُ التَّعبيرِ بالمبتدأِ نَكِرَةً ﴿جَنَّتَانِ﴾:

مراتبُ الجنّاتِ لا تُعَدُّ، ونِعَمُه للمتَّقينَ الخائفينَ لا تُحَدُّ

جاءَ المبتدأُ ﴿جَنَّتَانِ﴾ في قولِ اللهِ تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ نَكِرةً للتَّعظيم، وفيه إشارةٌ إلى كثرةِ المراتبِ التي لا تُحَدُّ، ونِعَمِه التي لا تُعَدُّ، وليُعْلَمَ أنَّ آخِرَ العذاب جهنَّمُ، وأنَّ الجنَّةَ أوَّلُ مراتبِ الثَّواب، ثمَّ بعدَها مراتبُ وزياداتٌ[3].

دلالةُ التَّعبيرِ بالمبتدأِ مُثَنًّى ﴿جَنَّتَانِ﴾:

وَفْرَةُ الأقوالِ في تحديدِ المرادِ بالجنَّتَينِ

في تثنيةِ ﴿جَنَّتَانِ﴾ رأيان، **الأوَّلُ**: أنَّ المرادَ جنَّتانِ اثنتانِ على ظاهرِ النَّظم، فالتَّثنيةُ مقصودةٌ. **والآخَرُ**: أنَّ العددَ غيرُ مقصودٍ، وتعدَّدتِ الأقوالُ في بيانِ الرَّأي الأوَّلِ، ومِن أهمِّ ما قيل في تحديدهما: إنَّهما جنَّةُ عدَنٍ وجنَّةُ النَّعيم، وهما للصِّدّيقين والشُّهداء والمُقَرَّبينَ والسّابقين، أو جنَّتانِ من ذهبٍ، أو جنَّةٌ لتَرك المساوئ وجنَّةٌ لفعل الطّاعاتِ، أو جنَّةٌ خُلِقتْ له وجنَّةٌ ورِثَها، أو جَنَّةٌ

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 184.
(2) الشّهاب الخفاجيّ، عناية القاضي وكفاية الرّاضي: 8/ 136، وابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 5/ 233.
(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 370.

للإنسيِّ وجنَّةٌ للجِنّيِّ، أو جنَّةٌ هي مَنزِلُهُ وجَنَّةٌ هي مَنزِلُ أزواجِه وخَدَمِه، أو جنَّةٌ هي مَسكَنُه وجنَّةٌ هي بُستانُه، أو جنَّةٌ أسفلَ القُصورِ وجنَّةٌ أعلاها، أو جنَّةٌ عن يمينِ القُصورِ وجنَّةٌ عن شمالِها، أو جنَّةٌ بخَوفِه وجنَّةٌ بتركِ شهوتِه، أو جنَّةٌ للعِلْمِ والعقلِ وجنَّةٌ للعملِ، أو جنَّةٌ يثابُ بها وجنَّةٌ تُضَمُّ إليها فضلًا، أو هما جنَّتانِ ضمنَ الجنَّةِ الكبيرةِ المعروفةِ، وخصَّهُما بالذِّكرِ لمَرتَبتِهما[1].

السـنـة بـيـان للقرآن، وتبيين لمـنـازل أهـل القران

ولعلَّ الأقربَ للصَّوابِ: أنَّهما بستانان في الجنَّةِ، كما جاءَ في الأثرِ، فقد أخْرَجَ ابْنُ مَرْدوَيَه، عَنْ عياضِ بْنِ غَنْمٍ، أنَّهُ سَمِعَ رَسولَ اللّه ﷺ، تَلا: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾، قال: «بُسْتانانِ، عَرْضُ كُلِّ واحدٍ مِنهُما مَسيرَةُ مئة عامٍ، فيها أشجارٌ، وفَرْعُها ثابتٌ، وشَجَرُها ثابتٌ، وعَرْصَتُها عَظيمَةٌ، ونَعيمُها عَظيمٌ، وخَيْرُها دائمٌ، ولَذَّتُها قائمَةٌ، وأنْهارُها جاريَةٌ، وريحُها طَيِّبٌ، وبَرَكَتُها كَثيرَةٌ، وحَياتُها طَويلَةٌ، وفاكِهَتُها كَثيرَةٌ»[2]، وأمّا القولُ الثّاني؛ فهو أنَّ التَّثنيةَ غيرُ مُرادَةٍ على الحقيقةِ، وأنَّ العددَ غيرُ مقصودٍ، بلِ المرادُ جنَّةٌ واحدةٌ، فهو إخبارٌ بأنَّ بَصَره حيثُ نظرَ، لا يقعُ إلّا على مُلكِه وجنَّتِه، ولا يقعُ على مُلكِ غيرِه، وليس إخبارًا عن عددِ الجنَّتَينِ[3]، وقيل: إنَّ التَّثنيةَ كنايةٌ عن التَّعدُّدِ للتَّكثيرِ والمبالغةِ، وفي توجيهِ التَّثنيةِ على هذا الرَّأي قالوا: إنَّ إيثارَ صيغةِ التَّثنية لمراعاةِ الفواصلِ السّابقةِ واللّاحقةِ، فقد بُنِيَتْ قرائنُ السّورةِ عليها، والقرينةُ ظاهرةٌ، وعلى هذا فجميع ما أُجريَ بصيغةِ التَّثنية في شأنِ الجنَّتَين، فمرادٌ به الجَمعُ[4].

---

(1) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 25/ 251، والسّمرقنديّ، بحر العلوم: 3/ 386، ومكّي بن أبي طالب، الهداية إلى بلوغ النّهاية: 11/ 7232، والماورديّ، النّكت والعيون: 5/ 438، والواحديّ، التفسير البسيط: 21/ 181، والزّمخشري، الكشّاف: 4/ 451، والغزنويّ، باهر البرهان: 3/ 1439.

(2) السّيوطيّ، الدّرّ المنثور: 7/ 708.

(3) الماتريديّ، تأويلات أهل السّنّة: 9/ 479، وابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 5/ 233.

(4) الفرّاء، معاني القرآن: 3/ 118، وابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 5/ 233، والقرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 17/ 176، والبقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 180، وابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 265.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع والخمسون،
سورة الرَّحمن من الآية 31 إلى سورة الحدِيد الآية 13
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع والخمسون، سورة الرَّحمن من الآية 31 إلى سورة الحدِيد الآية 13
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 59 ، 802 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-648-68-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 59 : المجلد التاسع والخمسون، سورة الرَّحمن من الآية 31 إلى سورة الحدِيد الآية 13.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-648-68-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7377148 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"